تأملات في سوره يونس [2]

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه وأشهد أن لاإله إلاالله وحده لاشريك له خالق الكون بما فيه وجامع الناس ليوم لا ريب فيه وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثر واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد فهذا هو اللقاء الثاني المتعلق بتعليقنا وتأملاتنا على سوره يونس وكنا قد سبق أن التقينا الأسبوع الماضي وتحدثنا عن هذه السوره وقلنا إنها سميت بهذا الإسم لأنه ورد فيها ذكر اسم النبي الكريم يونس بن متى عليه الصلاة والسلام في قوله جل شأنه (فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما ءامنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) ويونس بن متى أحد الأنبياء المرسلين بنص القرآن وقد ذكره الله جل وعلا في القرآن باسمه الصريح وذكره في القرآن بلقبه ذكره باسمه الصريح في النساء والأنعام وفي يونس والصافات وذكره جل وعلا بلقبه مرتين في الأنبياء: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) وفي القلم:(ولا تكن كصاحب الحوت) وسميت هذه السوره باسمه وقلنا في الدرس الماضي إنها أول سوره في القرآن إذا التزمنا بترتيب المصحف صُدرت باسم نبي ثم تلاها سوره هود ثم سوره يوسف ثم ذكرنا سوره إبراهيم ثم ذكرنا سوره محمد ثم نوح هذه السور التي سميت بأسماء الأنبياء وذكرنا أن من غير الأنبياء ممن سميت السور باسمائهم من الصالحين ثلاثه:ـ

1/ آل عمران 2/ مريم 3/لقمان هذه جمله ما تكلمنا عنه إجمالا حول تسميه السوره ثم انتقلنا إلى أن السوره هي أول سوره في القرآن أمر الله فيها نبيه أن يحلف (ويستنبؤنك أحق هو قل إي وربي إنه لحق) وقلنا بقيت اثنتان الأولى في سبأ(وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب) والثانيه في التغابن (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن) الآن ندخل على درس الليلة سنقف أولا عند قول الله جل وعلا: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون*الذين ءامنوا وكانوا يتقون *لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الأخره لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم*ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم) من المقر شرعا أن الله جل وعلا أمر الخلق بعبادته وحذر الناس من عباده الشيطان فمن عبد الله فهو بالجمله ولي من أولياء الله ومن عبد الشيطان عياذا بالله وكفر فهو ولي من أولياء الشيطان والشيطان يوم القيامه يتبرأ من أوليائه كما قال الله عنه أي عن إبليس أنه يقوم خطيبا يوم

القيامه في اتباعه (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي.....) إلى آخر الآيه في سوره إبراهيم أما أولياء الله فحتى لا يترك مجال للناس في تعريف من هو الولي فسر الله الولي بالقرآن نفسه وهذا من إيضاح القرآن بالقرآن يسألك إنسان مالحطمه؟فتجيب بالقرآن(وماأدراك مالحطمه*ناراللله الموقده)إذن مالحطمه/نار الله الموقده ولايمكن أن يأتي أحد فيفسر الحطمه بأفضل من أن تقول نار الله الموقده هنا قال الرب سبحانه(آلاإن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)فسر جل وعلا قال(الذين ءامنوا وكانوا يتقون)فمن ءامن بالله واتقى فهو ولي من أولياء الله لكن هذه الولاية درجات ومنازل عدة لكن بالجمله كل من ءامن بالله واتقى الله فهو ولي بنص القرآن وقد أغرق الناس في هذا الباب(باب الولاية)في مداخل ومخارج لايعلمها إلا الله منذ أن ظهرت الصوفيه في القرن الثالث في الأمه إلى يومنا هذا والناس في قضية هذا ولي وهذا غير ولي يركبون مراكب الصعب والذلول في إثبات أمور أثبتها الله من قبل ولاحاجة لخوض الناس فيها كما يخوضون فيه اليوم الصحابه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعرفون اسم للناس إلامسلم أو مؤمن أو اسم تاريخي يقال فلان بدري لأنه شهد بدرا أو يقال فلان من أهل الشجره لأنه شهد البيعه أو يقال فلان تابعي لأنه رأى الصحابه أمور تتعلق بأحداث تاريخيه لاتتعلق بأعمال القلوب والنبي عليه الصلاة والسلام قال(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)ومن حسن اسلام المرء بناء على هذا الحديث أن لايدخل الإنسان في تصنيف الناس وألا يفتن أحد بأحد ولايعظم أيا ماترى في عيناك من بشر مهما رأيت فيه من الدين أو من البكاء من خشية الله أو من حسن الصوت بالقرآن أو من العلم أوما إلى ذلك لاتفتن بأحد فالقلوب بين اصبعين من اصبع الرحمن يقلبها كيف يشاء وكما أنك لاتفتن بأحد تخشى الفتنه على نفسك فلا يغرنك عملك ولاما إلى ذلك أو ثناء الناس عليك أوما تراه أو أشياء كثيره قد تصبح لك مشجعه كما سيأتي لكن لاتصبح لك مهلكه وتظن أنك أنت تستحق هذا أو أنك قادر أو أن تزكي نفسك قلبيا وفرق جم مابين أن يزكي الإنسان نفسه قلبيا ومابين أن يزكي الإنسان كموهبه أعطاه الله جل وعلا إياه تزكية القلوب أمرها محسوم أنها لاتجوز قال الله(فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)فلا يجوز لأحد أن يزكي نفسه قلبيا أما تزكية

الصنعه التي تحسنها فهذا لاضير فيه ومن قول نبي الله يوسف(قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)هنا يتكلم عن أحوال الجوارح يتكلم عن قدرة في إدارة شؤون الدوله اقتصاديا ولايتكلم عن إيمانه وتقواه وقربه من الله يتكلم عن أمر دنيوي محض قال (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)تريد أن تركب باصا تسافر به إلى مكة وأمامك أربعين نفس أنت مسؤول عنهم فمن حقك أن تسأل من يريد أن يقود أيكم يحسن القياده فلو قام أحد الناس أنا أحسن أو يتكلم عن خبره سابقه فهذا ليس تزكية للنفس هذا إخبار بالعمل لايذم صاحبه لأن فيه منجاة للناس وإلا ترك الأمر على غير ذلك لهلك الناس لكن المحرم شرعا تزكية أعمال القلوب هذه اجعلها بينك و بين الله ولاتأبى بمدح الناس ولا بذمهم وسيأتي التفصيل أكثر من ذلك قال الله(آلا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)قلت من المهم جدا أن يخشى الناس على نفسه الفتنه والسعيد من يتعظ بغيره وقد ذكر الله جل وعلا نماذج في القرآن وجاء في السنه وفي أحوال الناس المعاصره وغير المعاصرة نماذج فتن الناس بها ثم انقلبت على اعقابها عياذا بالله والله جل وعلا يقول(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) بعد أن من الله جل وعلا عليه بالعلم وأصبح ذا قدره وذا مكانه أخلد إلى الأرض واتبع هواه كما قال الله جل وعلا عنه فعلى هذا أمر في نفسك يتعلق بغيرك وأمر في نفسك يتعلق بنفسك فأما أمرك الذي يتعلق بغيرك ألا تفتن بأحد والأمر الذي يتعلق بنفسك أن تخشى على نفسك الفتنة فإن الإنسان مطلوب منه أن يعبد الله حتى يلقى الله قال الله لنبيه:(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)أي حتى يحل بك الموت.وتفارق الروح الجسد هناك ينتهى وقت التكليف وزمنه بعد ذلك لو مدحت شخصاً أفضى إلى ربه بحدود الشرع فلا ضير،أما والإنسان حي فلا تبالغ في مدح أحد ولا تفتن بمدح أحد،كان هناك رجل وهذا من باب العظه يقال له عبدالله القصيمي هذا مات مؤخرًا قبل عدة سنوات كان يسكن القصيم،ثم سافر إلى الأزهر قديمًا،هو عمّر إلى التسعين ومات قبل عدة سنوات في الأردن وكتبت الصحافه عنه شيئًا كثيرًا لكن أنا أتكلم عن الفتنه فلما سافر إلى القصيم درس في الأزهر فجاء أحد علماء الأزهر كتب كتبًا يقال له الدوجي ألف كتبًا في قضايا جواز التبرك بالأضرحه ودعاء الأولياء فرد عليه هذا الشيخ آنذاك وهو طالب في الأزهر فلما رد عليه قرر الأزهر فصله بعد جلسات علميه لمجلس الجامعه كان الشيخ محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار شيخ الألباني حيا أنذاك حاول أن يقف معه

وأن يعضده لكنه لم يستطع أن يفعل له شيئا لكن الشاب آنذاك لم ييئس وألف كتبا جعلت له مكانه علميه آنذاك ثم ظهر في سوريا رجل شيعي ألف كتابا يخاصم فيه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فرد عليه هذا صاحبنا بكتاب اسمه(الصراع بين الإسلام والوثنيه)في ألفين وخمسمائه صفحة أظهر فيها قدره علمية خارقه وحجج عقليه قلما يصنعها أحد من أهل زمانه ففتن الناس بعلمه حتى أنه في إحدى خطب الحرم المكي ذكره الإمام على المنبر يثني على الكتاب وعلى صاحبه.

صراع بين إسلام وكفر
يقوم به القصيمي الشجاع

إلى آخر القصيده وقال العلماء آنذاك للملك عبد العزيز رحمه الله وكان حيا قالوا له إن القصيمي بكتابه هذا دفع ثمن مهر الجنه. بناء على مافي الكتاب من قدرات في الرد وردم الوثنية وإعلاء شأن الإسلام فتن الناس به فترة ثم خبوا،فكأنه كان يرجوا أن يكون له عند الناس مكانه أعظم مما تلقاها منهم،فبعد ذلك رجع إلى مصر وسكن فيها وخالط قوماً من أهل الفساد"فساد الفكر"فألف كتاباً يتبرأ فيه نسبياً من كلامه الأول ثم عياذاً بالله ارتد صراحة وألف كتاباً اسماه(هذه هي الأغلال) والتهم الدين كله بأنه غل وتكلم حتى في الرب جل جلاله.وجلس ذات يوم أمام رئيس الوزراء المصري آنذاك وكان موجودا الشيخ:محمد متولي الشعراوي العالم المصري المعروف وكان يومئذٍ في أول زمانه فجلسا يتناقشان فإذا بهذا القصيمي الذي ألف كتاب:الصراع بين الإسلام والوثنية،يسخر حتى من الله،فلم يستطع الشعراوي أن يرد عليه لأن أحيانا الإنسان الذي أمامك لا يريد حق صاحب دعوة صاحب جدل والله يقول:{وذكر إن نفعت الذكرى} إن لم تنفع أخرج،فخرج الشعراوي رحمة الله عليه وهو يتلو:"...إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره..." وخرج من المجلس ثم مكث هذا الرجل يؤلف كلها سبا في الدين وسخرية بالله ورسوله بعد أن ألف كتاباً أثنى عليه في حرم مكة.فأمر الملك عبد العزيز علمائه آنذاك في الصحافه أن يتبرؤا منه، وأصدر علماء في ذلك العصر كثيرا من الكتب التي ترد عليه عياذا بالله. ثم عاش في الأردن فترة حتى قبل عدة سنوات مات عن قرابة تسعين عاماً جاءت الصحف هنا للأسف تكلمت عنه على أنه كتب في الروايات له راويه اسمها(مدن الملح) ممنوعة سياسياًالذي يعنينا أنه لم يبقى له أصحاب ولم تأتي الصحافه... الصحفيون غالبهم ينشأ متأخر لم يقرأ شيئاً من القديم ولم يطلع وبعضهم عفا الله

عنا وعنهم ليس هناك لديه غيره على الدين لعدم العلم والجهل، المقصود هذه نظره للإنسان في أن يتأمل ماحوله فحتى تستريح لاتفتن نفسك بأي مخلوق ولاتعلق قلبك بأي مخلوق لأن الله لما ذكر أهل الولاية قال:(الذين ءامنوا وكانوا يتقون) فنسب الولايه الشرعيه إلى الإيمان به جل وعلا وإلى تقواه سبحانه وتعالى قال الله:(ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)الخوف يكون في الأمور المستقبليه والحزن على الشيء الماضي فالله كتب لأهل تقواه من أهل الولايه كتب لهم ألاخوف يعتريهم على ماهو قادم ولاحزن يعتريهم على ما فات وهذا قد يقع في الدنيا وقد يقع عند سكرات الموت وقد يقع يوم يقوم الأشهاد ويحشر العباد وقد يقع في عبد صالح بالثلاثه... لكن أولياء الله يختلفون وقد تكلم العلماء كيف يعرف الولي ولن أتكلم فيه لكن يكفي أن الله قال :(الذين ءامنوا وكانوا يتقون)وجاء في الحديث القدسي (ماتقرب إليَّ عبدي بأحب مما افترضته عليه ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وقدمه التي يمشي عليها والمقصود هنا التوفيق من الله التوفيق في السمع والتوفيق في البصر والتوفيق في الأخذ والعطاء والتوفيق في الغدو والرواح هذا المقصود (بكنت سمعه.. كنت بصره..كنت قدمه...كنت يده المقصود بها التوفيق من الرب جل وعلا يجعل الله له نور يجعل الله له بيَّنه يجعل الله له فرقانا يميز به الأشياء لأنه قريب من الله تبارك وتعالى محبوب منه (ألاإن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون*الذين ءامنوا وكانوا يتقون)قال الله عنهم بعد أن ذكر نعتهم بالجمله قال(لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخره)فلما قال ربنا في الحياة الدنيا وفي الآخره فهمنا أن البشارة قسمان لأن الله ذكر زمانين فلما ذكر الرب زمانين كان لابد أن تكون البشرى بشارتين هذه البشرى تكلم العلماء فيها كثيرا والأصل الذي نرى أن لا يحسن ولايجمل قصرها على شيء واحد وتبقى البشرى في الحياة الدنيا مفتوحه إلا أنه من أعظم البشرى الرؤيا الصالحه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما في البخاري وهو لاينطق عن الهوى قال(لم يبقى من النبوة إلا المبشرات قالوا يارسول الله وما المبشرات؟ قال الرؤيا الصالحه يراها المؤمن أو ترى له) كما في الزياده هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام:(لم يبقى من النبوه إلا المبشرات الرؤيا الصالحه).

فالرؤيا نوع من البشاره فقد يخرج الإنسان من موطن من مكان من عمل كئيبا حزينا على شيء أصابه ويكون له عندالله مقام أو

عمل صالح فيراه أحد فيخبره أنه رأى له رؤيا يكون في هذه الرؤيا بشاره لنجاته أو يكون هو قد غفا أو نام في ليل أو نهار فيرى رؤيا تدل على أمر حسن وقد قلنا مرارا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه وأخبروه أن يوسف هلك كان واثقا أن يوسف لم يهلك فقال كما قال الله جل وعلا عنه(قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) الذي جعل يعقوب يطمئن على أن يوسف لم يهلك هي الرؤيا التي رأها يوسف من قبل فلما قصها على أبيه فهم يعقوب أن هذا الابن سيكون له شأن:(قال يا أبتي إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) وهذا يظهر بعلوه وعلو مكانه لأن خضوع الأب والأم والأبناء له يدل على ارتفاع قدره، فلما جاءه الإخوه وقالوا إنه هلك لم يقبل يعقوب هذه الدعوه لكن ضعفه آنذاك اجتماعيا هو الذي جعله أن يصبر ويحتسب عند الله وقد تحقق له الأمر ولذلك قال:كما قال الله جل وعلا عنه:(قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون) من البشاره كلمة إنسان يسمعها من غير أن يبيت حسبان لها من غير أن يبيت أن يسمعها فيلقاها في طريقه أو حدث يراه بعينه هذه أمور دقيقه لا يمكن شرحها لكن تراها في حياتك العامه النبي عليه الصلاة والسلام أقبل على خيبر وقلنا هذا مرارا فلما صلى الفجر قريبا من خيبر ونظر إلى خيبر وكانت اليهود محميه لهم خيبر ويخشى على المدينه منهم رأى أهل خيبر بيدهم المساحي وهي أداة هدم فلما رأها استبشر صلى الله عليه وسلم هذا من البشرى ففرح وقال:(الله أكبر خربت خيبر لأنه رأى في أيديهم ما هو أداة هدم وهو جاء ليهدم خيبر فتحققت تلك البشرى لما رآهم قال:(الله أكبر خربت خيبر) فخربت خيبر كما قال عليه الصلاة والسلام وقيل:إنه لما قدم عليه الصلاة والسلام إلى المدينه رأى قوما لا يعرفهم ومعه أبو بكر رضي الله عنه وهو هارب من مكه خارج من قومه يريد الأمان في المدينه فقابل رجلا قال له من أنت قال: بريده فاستبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفت إلى أبي بكر برد أمرنا ثم قال بن من؟ قال بن أسلم قال: أبشر يا أبا بكر سلمنا أخذها من الإسم فهذا نوع من البشاره يحسن للإنسان وهو غاد أراح ولما اقبل سهيل بن عمرو في معركه الحديبيه والنبي عليه الصلاة والسلام يعرف سهيلا من قبل وهو قادم للصلح وكان النزاع قد اشتد ودعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيعة الرضوان تحت الشجره لما أشيع أن عثمان قد قتل فلما رأى النبي عليه الصلاة والسلام أن قريشا بعثت سهيلا قال:أبشروا لأصحابه سهل أمركم

أخذها من اسم سهيل فهذا نوع من البشرى الذي يعطاه المؤمن في الحياة الدنيا هذه أمور قلت لا يمكن حصرها في شيء معين لكنها أمور عديده تحصل للمؤمن وعده الله جل وعلا بها بنص القرآن قال سبحانه:(لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخره) في الآخره:أن الإنسان (المؤمن) لا يموت حتى يرى مقعده من الجنه وكذلك يبشر في القبر يأتيه عمله الصالح في صورة شاب حسن الوجه فيقول له من أنت؟ فيقول أنا عملك الصالح هذه كلها من المبشرات حتى يدخل المؤمن الجنه فيجد الراحه التامه الكبرى التي وعدها الله جل وعلا عباده أدخلنا الله وإياكم الجنه وحتى لا ترتاب القلوب قال الله بعدها (لا تبديل لكلمات الله) هذه أوامر الله وقضاؤه وقدره ولايمكن لأحد أن يغيرها ولا أن يبدلها ولا أن يجري في الكون أمرا لم يكتب الله منذ الأزل أن يقع (لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) من تمسك بالإيمان والعمل الصالح واجتهد في أن يقترب من الله واجتهد في أن يبتعد عن السيئات وصاحب عمله الإستغفار والخوف من الله والطمع في رحمته ووصل إلى الجنه هذا هو إجمالا بلا شك (ذلك هو الفوز العظيم) ثم قال الله لنبيه (ولا يحزنك قولهم) ويجب وجوبا أن تقف لأنه لا يستقيم المعنى (ولا يحزنك قولهم إن العزه لله جميعا) كفر تقول:(ولا يحزنك قولهم) أي قول:قول القرشيين أنك كافر... أنك ساحر... أنك كاهن... أنك مجنون، هذا لا يحزنك ثم تقف لأن الجمله تمت ثم تقرأ:(إن العزه لله جميعا) فليس قولهم إن العزة لله جميعا يجب أن لا يحزنك هذا يفرح لكن (ولا يحزنك قولهم) لا/ناهيه ويحزنك:فعل مضارع مجزوم (ولا يحزنك قولهم) وتقف أي قول: ما سلف في القرآن من اتهام القرشيين بنبينا عليه الصلاة والسلام بعدة أمور ثم تقول لماذا لا يحزنك؟ (إن العزه لله جميعا) ولا يوجد عاقل لا يطلب العزه لكن الله قال إن العزه كلها أولها وآخرها مبدؤها ومنتهاها ملك لله وقد مرت معنا هذه اللام:لام للملك (إن العزه لله جميعا) مرت معنا للفقراء (إنما الصدقات للفقراء)لكن الفرق أن ملك بني ءادم لما تحت يده ملك صوري وملك الله جل وعلا لكل شيء ملك حقيقي ولذلك قال الله جل وعلا:(الملك يومئذ الحق للرحمن) فيفنى الملك الصوري فلا يبقى إلا الملك الحقيقي ولذلك حصده الله جل وعلا في يوم القيامه ومنه قول الله في آخر الإنفطار (والأمر يومئذ لله) لأن الأمر الصوري ينتفي فيبقى الأمر الحقيقي والأمر الحقيقي ليس إلا لله جل وعلا وحده (ولا يحزنك قولهم إن العزه لله جميعا هو السميع العليم) هو السميع لأقوالهم العليم بأعمالهم ومادام جل وعلا يسمع أقوالهم ويعلم

أعمالهم فهو جل وعلا القادر علا جمعهم القادر على حسابهم وكل هذا سيكون لامحاله كما أخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنه من هذا يفهم من الآيه عموما أن المؤمن ينبغي عليه وهو يسير في طريقه إلى الله ألايصل به الحزن وإن كان الحزن لابد منه الرسول صلى الله عليه وسلم يقول(إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن)لكن لايصل بك الحزن إلى اليأس الكامل والقنوط من رحمة الله تبارك وتعالى أما أن يعتريك حزن يعتريك دمعه يعتريك أسف هذا لامفر منه لكن لايعني ذلك التشكيك في قدرة الله أو الإعتراض على قدره فقد بكى من هو خير منا وحزن من هو خير منا لكن الحزن والدمع والشكوى تبث إلى الله كما قال الله عن الصديق يعقوب(قال إنما أشكوا بثي وحزني) فأثبت له حزنا لكن هذا الحزن شكاه وبثه إلى ربه جل وعلا (قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالاتعلمون)أما الحزن الذي نفاه الله جل وعلا عنه هنا هو الحزن الذي يصيب الإنسان بالقعود التام والشلل التام في حياته هذا منفي عن أهل ولاية الله لأن ثقتهم بالرب تبارك وتعالى يعلمون بها أن الله سيجد لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ومن كل كرب تنفيسا وأن الله جل وعلا قادر على كل شيء لايعجزه شيء في الأرض ولافي السماء وثقتهم بربهم تبارك وتعالى تجعلهم مطمئني البال على يقين بأن الله سيجد لهم المنجى والمخرج ولو زاد عليهم البلاء فإن هذا أكثر عظمة لأجورهم وتكفيرا لخطاياهم فهم يتقلبون مابين أجر يعطونه أوسئية يكفر بها عنهم هذه الوقفه الأولى لسورة يونس لهذا اليوم ثم قال الله جل وعلا في هذه السورة ذكر الله ثلاثة من الأنبياء ذكر نوحا وموسى ويونس وقد مرمعنا تفصيل كثير من هذا في الأعراف وفي النساء وفي غيرها مما ورد فيه ذكر الأنبياء وأناقلت إنني لأكرر ماوقفت عنده لكنني سأقف هنا عند قضية غرق فرعون آخر أيام موسى في أرض مصر وغرق فرعون حتى تعلم البلاغه العظيمه لكلام الرب جل وعلا قال الله(واتل عليهم نبأنوح...)وذكر فيها خبر نبي الله نوح وقد مر معنا نوح في أكثر من مرة ثم ذكر الله جل وعلا أنه أرسل رسلا ولم يسمهم في هذه السورة إجمالا ثم قال(ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون...)فذكر موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وقلنا إن موسى أخ شقيق لهارون وهارون أكبر من موسى وأن هارون ولد في العام الذي لا قتل فيه وولد موسى في العام الذي فيه قتل لكنا الله جل وعلا لحكمه أرادها جعل موسى خيرا من هارون وذكر الله جل وعلا قضية السحر وهذه تكلمنا عنها تفصيلا نصل إلى أنه بعد أن انتصر موسى على

سحرة فرعون وآمن السحره مكث موسى في مصر ولم يخرج منها لأنك إذا أردت أن تفسر القرآن لابد أن تجمع بعضه إلى بعض في هذه الفتره جاءت الآيات الباقيه قال الله في الأعراف(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ءايات مفصلات)وقلنا إن ءايات تعني شيء خروج عن المألوف لأن لآن يوجد جراد...يوجدقمل..يوجد ضفادع...لماذا لاتسمى ءايات؟لأنها تعيش حياة طبيعيه لكن قول الله(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ءايات)يدل على أن ءايات شيء غير مألوف غير معهود وقول الله جل وعلا(مفصلات)يدل على أنها لم تكن مجتمعه لم تكن جمله واحدة مفصلات آية تنتهي تأتي ءايه ثانيه وهذا يدل عموما على أن موسى وقومه مكثوا فتره طويله في أرض مصر قبل أن يخرجوا منها قال الله في يونس(وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبله وأقيموا الصلاة وبشري المؤمنين)الوحي من الله ويأتي على صور الوحي للأنبياء غير الوحي للصالحين والوحي للصالحين غير الوحي للمخلوقات هذه الثلاثه كلها جاءت في القرآن فالوحي للمخلوقات(وأوحى ربك إلى النحل..)والوحي للصالحين غير الأنبياء (وأوحينا إلى أم موسى ..)والوحي للأنبياء كثير هذه منها(وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا)مصر/ البلد المعروف لكنها ليست القاهرة قطعا لأن القاهره أسست بعد ذلك في عهد دولة بني عبيد وإنما كانت أحداث موسى لمادخل المدينه على حين غفلة من أهلها مدينة(عين شمس)ليست القاهرة الذي يعنينا كلمة مصر كلمه مؤنثه وعلم والمؤنث العلم يمتنع من الصرف إلا إذاكان ساكن الوسط فإنه يجوز صرفه (كنوح،هند،ومصر)ولذلك جاءت كلمه مصر في القرآن مرة موقوف بالراء ومره منونة،مرة مصروفه،ومره غير مصروفه لأنها ساكنه الوسط الذي يعنينا الله يقول لنبيه(وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ)أي اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا)هذه واضحه لكن قال الله (وجعلوا بيوتكم قبله)واختلف العلماء في معنى قوله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبله)ذهب الإمام الطبري رحمه الله وهو شيخ المفسرين نبدأ به وجمهور العلماء من المفسرين إلى أن المعنى:ـ اتخذوا بيوتكم مساجد أي صلوا في بيوتكم وهو عند هؤلاء العلماء رحمهم الله أن بني اسرائيل كانوا يصلون في الكنائس والبيع فشد عليهم فرعون فأوحى الله إليهم أن انقلوا الصلاة إلى البيوت هذا ماقاله جمهور المفسرين وقال بعضهم ويحكى هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن (واتخذوا بيوتكم قبله)أي جهة الكعبة أي

اجعلوها جهة الكعبة ونحن نقول والله أعلم أن المعطيات التاريخية والقرآنيه لاتساعد على أي من القولين:ـ أما القول الأول:فإننا نقول لايعقل أن فرعون يسمح في مدة من الزمن لبني اسرائيل أن يصلوا في المساجد والبيع ظاهرين الذي ذكره الله في القرآن من سوم فرعون لبني اسرائيل من العذاب يتنافى عقليا مع القول أنه يمكن أن يكون بني اسرائيل اتخذوا مساجد ظاهرة علانيه كالبيع والكنائس يصلون فيها إلا إذا يوجد دليل صريح من القرآن أن هذا موجود فقلنا إذا جاء سيل الله يبطل سيل معقل لكن لا يوجد دليل صريح من القرآن أنهم كانوا يصلون في مساجد ظاهره وإنما هذا فهم للآيه ولابد أن تفرق مابين كلام الله وفهم العلماء لكلام الله فالمقدس كلام الله أمافهم العلماء ليس بمقدس فالذي لايدخله التبديل ولا التحريف ولا التكذيب النص أمافهم العلماء للنص يدخله الخطأ أي إنسان قابل قوله الصواب وقابل قوله للخطأ هذا رد الأول.أمارد الثاني أنه إذا قلنا كما قالوا أن (وجعلوا بيوتكم قبله) أي متجهه إلى الكعبه فهذا يعني أن اليهود كانوا يتجهون إلى الكعبه لأن الكعبه قبلتهم وهذا ينافي ماثبت في السيره الصحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث في مكه يصلي إلى بيت المقدس وستة عشر شهرا في المدينه يصلي إلى بيت المقدس فلا يعقل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلى بيت المقدس وهو يعلم أن الكعبه أصلا متخذه قبله من قبل اليهود من قبل هذا يتنافى مع القرآن والله يقول (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها....)ثم ذكر أهل الكتاب قال(ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آيه ماتبعوا قبلتك...)وقال(وماأنت بتابع قبلتهم)وقال(ومابعضهم بتابع قبلة بعض)فمن أن كانوا كان لليهود قبله وللناصارى قبله وللمسلمين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبله هذا الرد على الثاني .طبعا قلنا عندما ترد أقوال لابد أن تأتي ببديل إذا ماتقول؟تقول الآيه ليست لها معنى نقول كما قال بعض العلماء من قبل قالوا وهذا أرجح الأقوال عندنا وإن كان ضعيفا في كتب التفسير نقول إن معنى (قبله)أي يقابل بعضها بعضا أي بمعنى عامي مميزه حتى إذاجاء النفير أن يخرجوا من أرض مصر يكون البعض يميز بيت الآخر فيسهل أن ينادي بعضهم بعضا فيكون معنى قول الله جل وعلا(واجعلوا بيوتكم قبله)أي متقابله في مكان واحد متجاوره لكم مصطلح/ يعرف فيها بعضكم بيوت بعض هذا الذي ندين الله نختاره من أقوال المفسرين وعندما نقول نختاره أي لسنا الذي أول من قاله هذا كلام مكتوب في كتب التفسير لكن نحن نرجحه لأن معطياته

العلميه أقوى مما يدل على صحة هذا القول أن الله قال بعدها (وأقيموا الصلاة)فمعناه أنه لم يكن يتكلم عن الصلاه من قبل كلما فهموا أنها الصلاة في المساجد والبيوت(وبشري المؤمنين)هذه أظهر أنها خاصه بقوم بني اسرائيل أنه سيأتيهم البشاره والنجاه لكن يلزمنا وقلنا أنت كطالب علم لست ملزما بما يقوله الشيخ نحن نتكلم من باب الأمانه العلميه أما أنت فلك قدراتك وإمكانياتك تختار من أقوال العلماء ماتراه صوابا فإذا قلنا على قول العلماء أن (وجعلوا بيوتكم قبله)معناه/مساجد هذا ننتقل إلى مسأله فقهيه يبحثها العلماء وهي الصلاة في البيوت الصلاة إما أن تكون فرضا وإما أن تكون نفلا فصلاة الفرض لابد أن تكون في المساجد وهذا أمر ينبغي أن يرفع الخلاف فيه إلا بعذر بقينا في النوافل النوافل من حيث الجمله تنقسم إلى قسمين نافله يجمع لها ونافله لايجمع لها فالنوافل التي يجمع لها الإستسقاء ،الكسوف،الخسوف،هذه تصلى في المساجد أو في المصليات يصح صلاتها في البيوت لكن الأولى أن تصلى في المساجد نأتي إلى النوافل التي لايجمع لها كالسنن الرواتب هذه تصلى في البيوت لحديث البخاري العام أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:(اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولاتجعلوها قبورا) أي البيوت وركعتا المغرب هي أوكد الصلوات التي تصلى في البيوت لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث كعب بن عجره عند أبي داوود بسند صحيح ذهب إلى بني عبد الأشهل بني عبد الأشهل فخذ من الأوس قوم سعد بن معاذ صلى فيهم صلى الله عليه وسلم المغرب فلما صلى والتفت قام الناس يسبحون يصلون -إذا جاءت معك وأنت تطلب العلم في الأحاديث كلمة يسبحون فالمقصود بها يصلون النوافل- فقاموا يسبحون أي أهل بني عبد الأشهل قاموا يصلون السنه فتعجب صلى الله عليه وسلم وقال هذه صلاة البيوت وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ماأحصي كم سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي المغرب وركعتي الفجر (قل يأيها الكافرون)و(قل هو الله أحد)لو مثلا جاء إنسان وقال هذا حجة على أن ركعتي المغرب تصلى في المسجد سألته أنت أين الحجه قال لك أن ابن مسعود قال سمعته .كيف سمعه وهو يصلي المغرب في البيت كيف يكون جوابك؟يكون بأن الراوي ابن مسعود كان يخرج ويدخل وهو صاحب سواكه ووضوئه فكان من الخدم الخاصين بالنبي صلى الله عليه وسلم فمعرفة أحوال الصحابه تساعد على فهم السيره على فهم القرآن وهذا قلنا إن معطيات التفسير أن يكون للإنسان علم متنوع حتى يستطيع أن يفهم كلام الله نعود

فنقول إن صلاة النوفل في البيوت أفضل منها في المساجد لكن إذا كان وراء الإنسان عمل أو عنده موعد لزيارة مريض أو غادر إلى مكان ما ولم يكن بمقدوره أن يرجع إلى البيت فليس بمعقول أن نقول له اذهب إلى البيت وأخرج...يصلي في المسجد... كمن يجلس في الحرم النبوي بين المغرب والعشاء يصلي في البيت لكن نقول إذا كنت إذا خرجت من المسجد تعلم أنك ستعود إلى البيت فأد النافله في البيت باتفاق الأئمه نعود إلى الآيه ثم قال الله جل وعلا(وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملاءه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)الذي دعا هنا موسى ،الله يقول (وقال موسى ربنا)لاتحتاج إلى جواب الله بعدها قال (قد أجيبت دعوتكما)ذكر كم شخص؟شخصان "هذه ألف الاثنين"والاثنان هما موسى وهارون والذي دعا موسى فكيف عد هارون داع؟كان يؤمن فأصبح المؤمن في تأمينه يأخذ حكم الداعي لأن الله قال بنص القرآن(وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)فقال الله بعدها (قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل المفسدين)إذا سمى الله موسى وهارون كلاهما على أنه داع رغم أن أحدهما كان يدعوا والآخر كان يؤمن قال جل وعلا(ولاتتبعان)اللام هنا/الناهيه نهاهم أن يتبعا سبيل المفسدين بما أنها لا الناهيه كيف وجدت النون ؟أصل الفعل(تتبعانن)يوجد نونان نون الأفعال الخمسه ونون التوكيد فلما دخلت لا الناهيه تجزم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسه فعل مضارع اتصل به ألف الاثنين فحذفت نون وبقيت نون فالنون الباقيه هنا/ليست نون الأفعال الخمسه لأنها حذفت وإنما نون التوكيد ثم قال الله جل وعلا(وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لاإله إلا الذي ءامنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) هذه الآيات الثلاث إلى قوله تعالى (ءالئن وقد عصيت قبل)من أعظم بلاغة القرآن قول الله (وجوزنا)هذه"نا"الداله على الفاعلين فالأمر بيد الله فالذي نجا موسى الله سبحانه وتعالى(وجوزنا ببني اسرائيل البحر)أصلا:مالذي خافه فرعون من موسى بالعقل ؟أن يذهب ملكه هذا هو الأصل أن فرعون سمع من الكهنه أن هلاك ملكه عليد رجل من بني اسرائيل هذا الرجل الذي أنت تخاف منه الذي هو سيذهب ملك هو نفسه شرد خرج

ماجلس في مصر إذن كان العقل المفروض أن فرعون مادام أن الذي أنا أخاف أن يذهب ملكي هو باختياره خرج وذهب عني وهرب وترك مصر كلية وترك البحر إذن لايوجد داعي لأن أتبعه ولذلك الله قال(فأتبعهم فرعون وجنوده..)ماذا؟(بغيا وعدوا)البغي/تجاوز الحد .والعدو/الإصرار على الباطل.ففرعون كان مفروض يكون أعقل من هذا لكن انفعال الشر والعدوانيه التي وصفها الله موجوده في قلبه لم تطب نفسه حتى يرد أن يهلك موسى لكن الإنسان إذا غلب عليه التفكير في قضيه واحدة ينسى قضايا كثيره ولذلك أحيانا إعرض المشكله على غيرك لأنك أنت تعيش في شيء متوقع حول شيء معين مهما كان عقلك ورأيك وفضلك ستنظر بعين واحده .

والعين ترى مادنا منها ونئا...

ولاترى نفسها إلا بمرءاتي.والعين ترى مادنا منها ونئا/أي ترى القريب لكن العين لاترى نفسها ففرعون لما وصل ،الله جل وعلا جاوز ببني اسرائيل البحر معلوم أن الله أمر موسى أن يضرب بعصاه البحر فانفلق فلما انفلق أصبح البحر اثنا عشر فرقه مر موسى والذين معه وقلنا مرارا إن فرعون لم يدخل البحر حتى خرج موسى،فرعون لايعقل أن إنسان يصبح ملك أكثر من أربعين سنه لايملك عقلا لكن لما رأى موسى نجا كان من المفروض أن يعلم بداهة أنه يستحيل أن يتحول البحر إلى يابس إلا بقدرة الله وإن الذي نجا موسى من البحر من الغرق قادر على أن ينجيه منك فيرعوي ويرتدع لكن مازال الإنفعال العدواني في قلبه فنسي حتى هذه وإلاهذه تكفيه أنه يعرف أن موسى محاط ومسخر له البحر وأنه لاسبيل إليه لكنه كما قال الله(بغيا وعدوا) فلما خرج موسى من البحر كله وفرعون ينظر اطمأن فرعون إلى أن البحر لم يرجع فأراد موسى كما قلنا مرارا أن يضرب البحر فأمر الله موسى أن يترك البحر على حاله قال الله في الدخان(واترك البحر رهوا)أي ساكنا فتركه موسى فلما تركه موسى اطمأن فرعون على أن البحر سيبقى فجاء بجيشه فلما جاء بجيشه أمر الله البحر أن يعود إلى حاله قال الله(حتى إذا أدركه الغرق)الغرق نفسه غير عاقل هذا عند البلاغيين يسمى تشخيص وهو أن يعطى غير العاقل حكم العاقل الغرق أصلا لا يعقل حتى يدرك فرعون بالغرق لكن الله هنا يصور الموقف على أن هذا الغرق جند من جند الله له حواس وله قدرات وله امكانات حتى أضحى يتبع فرعون حتى أدركه وأحاط به من كل جانب وقلنا هذا أسلوب عربي يسمى (التشخيص)الله يقول(حتى إذا أدركه الغرق قال)قال أي فرعون (ءامنت أنه لاإله إلا الذي

ءامنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين)ءامن أولم يؤمن؟
ءامن.لكن الله ماأنكر إيمانه أنكر وقت الإيمان ولذلك الله قال
بعدها (ءالئن وقد عصيت قبل)هنا جاء في الخبر الصحيح أن
جبريل عليه السلام لما سقط فرعون في البحر يغرق جاء جبريل
بوحل البحر"طين البحر"وأخذ يضعه في فم فرعون خشي أن
فرعون يثني على الله فتدركه رحمة الله وهذا فعله جبريل
لسببين السبب الأول:ـ علم جبريل بعظيم رحمة الله وإلايفعل
هذا. السبب الثاني:ـ قاله جبريل قاله في حديث رواه
الطبراني(قال:يامحمد ماأبغضت أحدا من خلق الله كبغضه إلى
فرعون عندما قال (ماعلمت لكم من إله غيري)فلما قال فرعون
لأهل مصر سابقا (ماعلمت لكم من إله غيري)أبغضه جبريل فلما
جاء فرعون في هذا الموقف بقي البغض في قلب جبريل فأخذ
يضع الطين في فم فرعون خشية أن يثني على الله ثناء يستدر
به رحمة الله قال:حتى لايثني على الله ثناء فيغفر الله له
قال:الترمذي رحمه الله والحديث صحيح بالجمله وصححه كثير
من العلماء كالألباني والأشقر وغيرهما من علماء الملة الذي
يعنينا أن فرعون لم يقبل الله إيمانه لأنه كان إيمان اضطرار
لاإيمان اختيار وقلنا إن هذه السنه أن الله لايقبل إيمان الإضطرار
ولايقبل إلا إيمان الإختيار مستثناة في قوم يونس وهي باسمهم
سميت السوره باسم نبيهم قال الله (فلولا كانت قريه ءامنت
فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما ءامنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا)فنعود للآيه قال الله(ءالئن وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين*فاليوم ننجيك ببدنك)وفي
قراءة(ننحيك)بالحاء والمعنيان واحد ننجيك ببدنك كان المصريون
يعبدون فرعون على أنه إله فلو غاب فرعون وضاع في البحر
ويغرق وأهلك ولم تظهر جثته لقال بعضهم إنه اختفى ليعود أو
أنه غاب ليرجع لكن الله أخرجه حتى يراه من كان يعبده فإذا رآه
من يعبده وهو جثه ميتا علم أن الذي كان يزعم أنه إله لايملك أن
يهب الحياه لنفسه فكيف يهبها لغيره ولهذا قال الله (فاليوم
ننجيك ببدنك)أي بجسدك دون روحك (لتكون لمن خلفك ءاية
وإن كثيرا من الناس عن ءاياتنا لغافلون)يدخل الناس اليوم إلى
مايسمى بقبور الفراعنه في الأهرامات في مصر ويرون مايرون
يخرجون يتعجبون من تلك الحضارات وينسون أن هذه كلها
ءايات من رب الأرض والسموات والعاقل إذا رأى بنور الإيمان لا
كمن ينظر بنور الثقافه أو العلم المحض أو بنور المعرفه لكن من
يرى سنن الله في الخلق كيف يحي ويميت ويبدئ ويعيد ويعطي
ويمنع ويهب ويقطع جل وعلا عرف مالله جل وعلا من عظيم

القدره وجليل المكانه هذا ما أردنا التعليق عليه اليوم .هذا والله تعالى أعلم وصلى الله على محمد وعلىآله .